

221105 - ما حكم العطف بالواو في قول : (الشكر لله ولفلان) ؟

السؤال

معلوم أنه لا يجوز أن يقول الإنسان (ما شاء الله و شاء فلان) كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، لكن أحدهم قال مرة إن الله عز وجل قال : (أن اشكر لي ولوالديك) ، فعطف الوالدين ولم يقل (ثم لوالديك) ، فقال : إنه يجوز أن يقول الإنسان الشكر لله ولفلان وليس شرطاً أن يقول ثم لفلان . فما الجواب عن هذه الشبهة (الشكر لله ولفلان) ؟

الإجابة المفصلة

أولاً :

لا بأس أن يقول الإنسان " الشكر لله ولفلان " ، هكذا بحرف العطف " واو " ، ولا يشترط أن يعطف بينهما بحرف العطف " ثم " .

والآية الكريمة التي استدلت بها صاحبك تدلُّ على هذا ؛ فقرنَ سبحانه وتعالى بين عبادته وطاعته والإحسان إلى الوالدين بحرف العطف " واو " ، ولم يقل : " ثُمَّ لوالديك " .

وأما استشكل جواز ذلك بما ثبت من النهي عن التشريك بين الله وأحدٍ من عباده بحرف العطف " واو " ، كما في المشيئة ونحوها ، كقول " ما شاء الله وشئت " ، أو " أنا بالله وبك " ، " هذا بفضل الله وبفضل فلان " ، ونحو ذلك ؛ فيجاب عنه : بأنَّ هذا النهي إنما هو في الأمور الكونيَّة التابعة لربوبيَّة الله عزَّ وجلَّ ، كالمشيئة والإرادة والتقدير والنصرة والرِّزق ، ونحوها ممَّا يختصُّ به الله سبحانه ، ممَّا هو من مقتضيات ربوبيَّته سبحانه في تدبير الكون ، وما كان منها من المخلوق فهي أسباب مخلوقة تابعة للربوبيَّة المطلقة ، فتعطف بحرف " ثم " . أمَّا الأمور التي لا يختصُّ الله تعالى بها دون خلقه ، بل يقوم بها العبد حقيقةً ، ويُنسب إليه فعلها ؛ فالأمر فيها سهل ، ولا يشترط فيها العطف بحرف " ثم " ، وقد جاءت النصوص الشرعيَّة بمشروعيَّة الجمع والتشريك بينها وبين فعل الله بحرف العطف " واو " .

كقول الله سبحانه وتعالى : (وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) التوبة/74 ، وكقوله سبحانه : (وَلَوْ أَنَّهُمْ

رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ (التوبة/59 ،
وقوله : (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ) الأحزاب/37 .

والآية المسئول عنها في السؤال دليل على هذا أيضًا ؛ وهي قوله تعالى : (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالَهُ فِي غَامِبٍ أَنْ أَشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ) لقمان/14 . وعلى ذلك : " فيكون التشريك في أصل المعنى ، لا في المرتبة " .
ينظر : " التمهيد شرح كتاب التوحيد " للشيخ صالح آل الشيخ .

ثانيًا :

ذكر بعض أهل العلم أنّ الجمع بين الشكرين بالواو في قوله تعالى (اشكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ) ، منسوخٌ بأحاديث النهي عن التشريك في المشيئة ، كقوله صلى الله عليه وسلم : (لَا تَقُولُوا : مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فُلَانٌ ، وَلَكِنْ قُولُوا : مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ) رواه أبو داود (4980) ، وصححه الألباني في " صحيح سنن أبي داود " ، وغيره من أحاديث الباب ، فيكون العطف في الشكر بـ " ثم " ، فيتقدّم الشكر لله كالمشيئة . انظر : الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه لمكي بن أبي طالب (ص /379) .

قال الإمام الطحاوي رحمه الله : " قَالَ قَائِلٌ : فَإِنَّ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى مَا قَدْ دَلَّ عَلَى إِبَاحَةِ هَذَا الْمَحْظُورِ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ ، ثُمَّ ذَكَرَ قَوْلَهُ تَعَالَى : (أَنْ أَشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ) ، وَلَمْ يَقُلْ : " ثُمَّ لِي وَلِوَالِدَيْكَ " ؟ فَكَانَ جَوَابَنَا لَهُ فِي ذَلِكَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ : أَنَّ هَذَا مِمَّا كَانَ مُبَاحًا قَبْلَ نَهْيِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ مِثْلِهِ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ ، ثُمَّ نَهَى عَنْ مَا نَهَى عَنْهُ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ ؛ فَكَانَ ذَلِكَ نَسْخًا لِمَا قَدْ كَانَ مُبَاحًا مِمَّا قَدْ تَلَوْتُهُ قَبْلَ ذَلِكَ ، وَمَذْهَبُنَا أَنَّ السُّنَّةَ قَدْ تَنَسَخَ الْقُرْآنُ ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يَنْسَخُ مَا شَاءَ مِنْهُمَا بِمَا شَاءَ مِنْهُمَا " انتهى من " شرح مشكل الآثار " (1/219) .

وإدعاء النسخ فيه نظر؛ فمثله يفتقر إلى دليل، ثم إنه لا يُصار إلى
إدعاء النسخ إلا بعد تعذر الجمع بين الأدلة، وقد أمكن الجمع - كما
تقدم -، والحمد لله .

وذهب آخرون من أهل العلم أنّ ما وردت به النصوص من التشريك بين الله وأحد من
خلقه بحرف العطف " واو "، هو خاصّ بكلام الله وحده، ولا يُقاس عليه كلام
المخلوق الذي يجب عليه التأدّب في مقام الربوبية بكلام الخالق جلّ وعلا، وهذا
كما أنه يجوز للخالق سبحانه أن يحلف بما يشاء من خلقه، ولا يجوز للمخلوق أن يحلف
إلا بالله عز وجل .

ينظر: " الفتاوى الفقهية الكبرى " لابن حجر الهيتمي (4/ 248)، و" تيسير العزيز
الحميد " (ص/520) .

وينظر لمزيد من الفائدة: جواب سؤال رقم: (161522) .

وعلى هذا؛ فلا بأس من قول " الشكر لله وفلان "، وإن تأدّب القائل وعطف بينهما
بحرف العطف " ثم " فهو أولى؛ خروجاً من الخلاف وزيادةً في الأدب مع الله تعالى .
والله أعلم .